البسملة في معاني القرآن للفراء

(دراسة لغوية)

أ.م.د. عبد الإله إبراهيم عبدالله
كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

المقدمة

البسملة مصدر قياسي من الفعل بسمل، إذا قال الشخص: بسم الله الرحمن الرحيم، أو إذا كتبها، ويسمى هذا النوع من الصياغة في اللغة النحت، وهو أن تختصر من كلمتين أو أكثر كلمة واحدة. ومثله الحوقلة إذا قيل: لا حول ولا قوة إلا بالله، وسبحل إذا قيل: سبحان الله، وهكذا، قال الشاعر:

لقد بسملت ليلى غداة لقيتها   فيا حبذا ذاك الحديث المبسمل

ووردت البسملة في مفتتح كل سورة من سور القرآن الكريم، عدا البراءة في المصحف الامام، الذي أجمعت الامة على أنه لا زيادة، ولا نقصان فيه ومع ذلك فإن وجودها على هذا النحو لم يكن كافياً- بطريقة قاطعة- في نظر بعضهم لاثبات قرآنيتها، ولاسيما في أوائل السور ما عدا الفاتحة، فكثرت الدراسات التي كتبت عن البسملة، سواء أكان ذلك في دراسات مستقلة. (1)، أم في كتب التفسير.

ومن المعلوم أن كتب التفسير على اختلاف مناهجها، تأثرت تأثراً واضحاً بالدراسات النحوية الأولى، ولا سيما الدراسات التي أتخذت من القرآن الكريم موضوعاً لها، وفي مقدمتها الموسوعة الثرة كتاب (معاني القرآن) للفراء.

وقد عقدنا هذا البحث لمناقشة ما ورد في هذا الكتاب عن البسملة، لنقف على سر من أسرار الدرس اللغوي ظل بعيداً عن التناول على كثرة ما كتب عن البسملة، نرجو أن نكون قد وفقنا في تقديم شيء جديد، يخدم لغتنا الخالدة، لغة القرآن الكريم، والله ولي التوفيق.

البسملة في (معاني القرآن) للفراء

تناول الفراء البسملة وأم الكتاب في خمسة مواضع هي:

(بسم الله، والحمد لله، وغير المغضوب، وعليهم، ولا الضالين)، ولم يزد عليها، وجاءت المعالجة لـ (البسملة) في ثلاثة مناح، وإن لم يصرح بها. وهي (الرسم المصحفي، والجانب الصوتي، والجانب النحوي).

وأول ما بدأ به هو حذف رمز الهمزة التي في (بسم)، وسماها الألف، قال: ((فأول ذلك اجتماع القراء، وكتاب المصاحف على حذف الألف من (بسم الله الرحمن الرحيم)، وفي فواتح الكتب واثباتهم

الالف في قوله: ((فسبح باسم ربك العظيم)))(2)، ثم شرع في تعليل الحذف في (بسم الله) والاثبات في (باسم ربك)، قال: ((وإنما حذفوها من (بسم الله الرحمن الرحيم)أول السور والكتب، لأنها وقعت في موضع معروف لا يجهل القارىء معناه، ولا يحتاج إلى قراءته، فاستُخِفَ طرحها، لأن من شأن العرب الإيجاز وتقليل الكثير إذا عرف معناه، وأثبت في قوله: ((فسبح باسم ربك)) لأنها لا تلزم هذا الاسم، ولا تكثر معه ككثرتها مع (الله) تبارك وتعالى، ألا ترى أنك تقول (بسم الله) عند ابتداء كل فعل تأخذ فيه: من مأكل أو مشرب أو ذبيحة فخف عليهم الحذف لمعرفتهم به))(3).

وأكد ذلك بقوله: ((فلا تحذفن الف (اسم) إذا اضفته إلى غير الله تبارك وتعالى، ولا تحذفنَّها مع غير الباء من الصفات، وإن كانت تلك الصفة حرفاً واحداً مثل اللام، والكاف، فتقول: لاسم الله حلاوة في القلوب، وليس أسم كإسم الله، فثبت الألف في اللام وفي الكاف، لأنهما لم يستعملا كما استعملت الباء في اسم الله))(4).

ثم سرد دليلا آخر على الحذف لكثرة الاستعمال مما يطلق عليه اليوم بالنحت فقال: ((ومما كثر في كلام العرب فحذفوا منه أكثر من ذا قولهم (أيشٍ عندك) فحذفوا اعراب (أي) وإحدى ياءيه، وحذفت الهمزة من (شيء) وكسرت الشين وكانت مفتوحة في كثير من الكلام لا أحصيه))(5).

هذا الذي أورده الفراء في هذه المسألة نعني الرسم المصحفي، والناظر بتأمل لما أورده يخرج بعدة أمور منها:

1- إن الفرّاء قرن القراء بكتاب المصاحف وغيرهم من الكتاب، وليس في ايدينا تفسير لهذا الاقران، ذلك لان المسألة رسم، وعلم الرسم علم دراية والمعروف عن قراءة القرآن الكريم أنها علم رواية ومشافهة، وحفظ في الصدور بالسند المتصل إلى نبي الرحمة محمد – صلى الله عليه وآله وسلم- وسواء أأجمع الكتاب أم لم يجمعوا في البسملة أو في غيرها فإن همزة الوصل- كما تسمى اليوم – في (اسم) وهو أحد الاسماء العشرة تسقط في الدرج سواء اتصلت به الباء أم غيرها، إذ لا وجود لهمزة الوصل في النطق عند الدرج أصلاً، ذلك لأن صوت الهمزة يتم بانطباق الوترين الصوتيين انطباقا تاما بحيث يحبس النفس فإذا أنفرج الوتران الصوتيان تخرج هذه النبرة الشديدة التي نسميها همزة فهي من الأصوات الصعبة، ولهذا ((ليس في الكلام كلمة فاؤها وعينها همزتان ولا عينها، ولامها أيضاً همزتان)).(6)

وعند نطق كلمة (اسم) درجا لا تنغلق الحنجرة بالوترين الصوتيين فلا وجود لهمزة الوصل في النطق أصلاً، وتسميتها بهمزة الوصل من باب التسمح والمجاز.

2- إنه أطلق (الألف) على ما نسميه اليوم همزة وصل، لأن العرب في رسمهم نحوا منحيين:

أولهما: رسمها على رمز الألف كيفما وقعت يقول الفراء في موضع آخر ((وربما كتبتها العرب بالألف في كل حال، لأن أصلها ألف، قالوا نراها إذا ابتدئت تكتب بالالف في نصبها وكسرها وضمها، مثل قولك أُمروا، وأَمرت، وقد جئت شيئاً إمراً، فذهبوا هذا المذهب، قال: ورأيتها في مصحف عبد الله (شيأ) في رفعه وخفضه بالالف ورأيت يستهزءون، يستهزأون بالألف وهو القياس))(7).

ثانيهما: رسمها بحسب ما مشهور عنها اليوم فلا مشاحة إذا في قوله بالألف بدل همزة الوصل لأنه المصطلح الشائع عندهم ولا مشاحة في المصطلح كما يقولون والا فإن الألف صائت طويل، والهمزة صامت وشتان ما بين الاثنين.

3-وثمة مسألة أخرى تتعلق بتعليل الحذف إذ رد الحذف في (بسم الله) والاثبات في (فسبح باسم ربك) إلا أن الأولى يعرفها القارىء ثم خلص إلى كثرة الاستعمال وليس بعيداً عنا قوله (ومما كثر في كلام العرب فحذفوا...) وهذا التعليل به حاجة إلى فضل نظر من ذلك:

ما المقصود بكثرة الأستعمال؟ أهو من حيث النطق أم هو من حيث الرسم؟ الذي يغلب على ظننا أنه يريد بالكثرة ومعرفة القارىء بالرسم لا بالنطق مما يترتب على ذلك أمور منها:

1- هل كانت العرب تعرف– قبل نزول القرآن الكريم – (بسم الله) ولا سيما عند الشروع بفعل ما؟

والجواب: لا، لأن ما بين أَيدينا من مصادر لا يؤيد ما ذهب إليه– رحمه الله– إذ " روى الشعبي والأعمش أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– كان يكتب (باسمك اللهم) حتى أمر ان يكتب (بسم الله) فكتبها فلما نزلت (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن "(8).

كتب (بسم الله الرحمن الرحيم) فلما نزلت ((أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم))(9) كتبها، بسم الله الرحمن الرحيم (10).

فإذا صحت هذه الرواية فهذا يعني أن العرب قبل الإسلام لم يستعملوا (بسم الله)لا نطقا، ولا كتابة فما معنى كثرة الاستعمال من بعد؟

2- اذا كانت معرفة القارىء بسبب الكثرة بحذف (الالف) من (بسم الله) فكيف تفسر سقوط (همزة الوصل) (الألف) في مثل (لله، للدار، للذي)، وشبه ذلك في كل لام دخلت على لام التعريف، وفي مثل (وسألوا، وفسل) وفي مثل (وأتوا، وفاتوا) في كل فعل فاؤه همزة ثم دخلت عليه الواو والفاء كما رأيت.

3- إذا كانت معرفة القارىء بسبب كثرة الاستعمال تدعو إلى اسقاط (الألف) فإن العرب تقدس انسابها حتى أنهم وضعوا للأنساب (آلهة) وهي (اللات) ونجد ذلك واضحاً في ذكرهم العلم حيث يلحق الاسم بكنية (ابن) أو (أبنة)، ونزعم أن كرة الاستعمال هنا اشيع وأوسع، ولكن الناظر في القرآن الكريم يجد أن همزة ابن وهو من الاسماء العشرة أيضاً قد ثبت في الرسم اينما وقعت، صحيح أن

النحاة ذكروا أن همزة (ابن) تحذف من الرسم إذا وقع تابعاً، وتثبت إذا وقع خبراً (11) ولكن كتاب المصاحف أجمعوا على اثبات ألف (ابن) في الرسم المصحفي في قوله تعالى: (عيسى ابن مريم)، (المسيح ابن مريم) حيث وقعا وهو نعت كما أثبتوها في الخبر في قوله تعالى: ((وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله))(12) وإذا كانت كثرة الاستعمال علة في حذف الألف فليس أكثر استعمالاً عند العرب من الكنية في استعمال العلمية ولا سيما لغة أُمة وضعت أنساباً لخيلها.

4-وثمة موطن آخر حذفت الألف فيه من كلمة (الأيكة) في الآية الكريمة: ((كذب أصحاب لئيكة المرسلين))(13)، فهل في هذا كثرة استعمال؟ وإذا كان الجواب: نعم فما بالهم اثبتوا الألف في الكلمة نفسها في سور أخرى ((وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين))(14).

وفي مسألة كثرة الأستعمال فيها حاجة الى نظر فهل يعني مفهوم كثرة الاستعمال أن العرب استعملوا الألف في (بسم) بحيث أنهم كانوا يكتبونها (باسم الله) ولما كثر الاستعمال حذفوا فكتبوا (بسم) وربما تميزت هذه عن غيرها لأن لها مكانة واستعمال يختلف عن غيرها.

ولعل الزمخشري – رحمه الله– لم يجانب الصواب فيما ذهب إليه في مسألة الحذف إذ قال ((قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال))(15) وهذا يعني أنن القاعدة العامة التي بنيت عليها الكتابة العربية– في الغالب – هي أن تكتب الكلمة بصورة لفظها، بتقدير الابتداء بها والوقف عليها، فمن المتوقع أن تأتي همزة (الوصل) ثابتة في الرسم في كل المواضع التي زيدت فيها لأنها لا تلفظ إلا في حالة الابتداء بها التي تقوم على أساسها الكتابة، فقد تحذف حملا على الوصل لفظاً وكتابة، وقد ثبتت (همزة الوصل) حملاً على الابتداء، كما حصل في (فسبح باسم ربك).

هذا وقد وردت إشارة طريفة للفراء– راداً على قول قائل: ((فإن قال قائل: إنما حذفنا الألف من (بسم الله) لأن الباء لا يسكن عليها، فيجوز ابتداء الاسم بعدها، قيل له: فقد كتبت العرب في المصاحف ((واضرب لهم مثلاً))(16) بالالف، والواو لا يسكت عليها، في كثير من اشباهه، فهذا يبطل ما أدعى))(17).

وهذا آخر مما ذكره الفراء في مسألة الرسم، ولعله يرد بطرف خفي على تعليل الخليل – رحمه الله – أورده الفخر الرازي قال: ((إنما حذفت الألف في (بسم الله) لأنها دخلت بسبب ان الابتداء بالسين الساكنة غير ممكن، فلما دخلت الباء على الاسم نابت على الألف فسقطت في الخط، وإنما لم تسقط في قوله: (إقرأ باسم ربك) لأن الباء لا تنوب عن الألف في هذا الموضع كما في (بسم الله) لأنه لا يمكن حذف الباء من (إقرأ باسم ربك) مع بقاء المعنى صحيحاً، فإنك لو قلت (اقرأ اسم ربك) صح المعنى، أما لو حذفت الباء من (بسم الله) لم يصح المعنى فظهر الفرق)).(18)

ولعل في قول الفراء مقنعاً يغني عمن رام الزيادة ولما كان كتاب معاني القرآن خلاصة لروح العربية بمعناها العام فلن نجد لـ (البسملة) فضل تفصيل في الأحكام من حيث كونها آية والخلاف في ذلك، ومن حيث معناها، وعدد حروفها وتحقيق أصول كلماتها، وتعلقها، والترقيق والتفخيم في أصواتها، وغيرها من المباحث فرأينا من باب اتمام الفائدة أن نعرج باختصار على قسم من هذه المباحث في مطالب.

المطلب الأول: (أحكامها):

لقد خاض المفسرون في أحكام البسملة وإليك ملخصها:

1-لقد أجمع المسلمون على أن البسملة من القرآن الكريم، وإنما جزء من آية في سورة النمل ((أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم))(19).

2-تعدد آراء العلماء في مكانها من السور:

أ – ليست بآية من الفاتحة ولا غيرها وهو قول مالك(20)- رحمه الله – ونسب الزمخشري هذا القول إلى أبي حنيفة – رحمه الله – ومن تابعه.(21)

ب- إنها آية من سورة وعليه علماء السلف من أهل مكة، فقهاؤهم وقراؤهم ومنهم ابن كثير، وأهل الكوفة ومنهم عاصم والكسائي من القراء، وبعض الصحابة والتابعين من أهل المدينة والشافعي واتباعه، والثوري واحمد في احد قوليه والامامية ومن المروي عنهم ذلك من علماء الصحابة علي وابن عباس وابن عمر وأبو هريرة، رحمهم الله جميعاً، وأقوى حججهم في ذلك اجماع الصحابة ومن بعدهم على اثباتها في المصحف أول كل سورة سوى براءة مع الأمر بتجريد القرآن من كل ما ليس منه ولذلك لم يكتبوا (آمين) في آخر الفاتحة.(22)

ج- اتفقت الأمة على جواز كتابتها في أول كل كتاب من كتب العلم والرسائل فإن كان الكتاب ديوان شعر فقد ((روى مجاهد عن الشعبي قال: اجمعوا ألا يكتبوا أمام الشعر (بسم الله الرحمن الرحيم))).(23)

د- ولعل من المفيد أن نذكر إشارة بنيت على قاعدة نحوية جاء في غرائب القرآن ((كل العلوم تندرج في الكتب الأربعة وعلومها القرآن، وعلوم القرآن في الفاتحة وعلوم الفاتحة في (بسم الله الرحمن الرحيم)، وعلومها في الباء من (بسم الله)، وذلك أن المقصود من كل العلوم وصول العبد الى الرب، وهذه الباء للإلصاق، فهو يوصل العبد إلى الرب)).(24)

ويبدو أن تأثر صاحب هذا الرأي بمعنى الباء الالصاقي أو الوساطة جعله يذهب هذا المذهب.

هـ- ندب الشرع إلى ذكر البسملة في أول كل فعل كالأكل والشرب والنحر والجماع والطهارة وركوب البحر إلى غير ذلك من الافعال، قال تعالى: ((فكلوا مما ذكر أسم الله عليه إن كنتم بآياته

مؤمنين))(25)، وقال تعالى ((وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم))(26)- وقال الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم- ((أغلق بابك واذكر اسم الله، وأطفيء مصباحك وأذكر أسم الله وخمر اناءك وأذكر اسم الله وأوك وأذكر أسم الله))(27).

المطلب الثاني: في (اسم)

وفيه معالجات كثيرة صوتية ودلالية واشتقاقية ولهجية، وقد اولى ابو البركات الانباري في إنصافه اشتقاق الاسم دراسة وتحقيقاً(28)، ولا يعني الأمر- فيما رأى- أن يكون الاسم من السمو كما هو مذهب البصريين أو ن الوسم كما هو مذهب الكوفيين ولكن المهم إعطاء تعليل لأنفلات الاسماء العشرة من قطع الهمزة درجا. كما عالج الدارسون الاسم من الناحية الدلالية هو عين المسمى؟ فقد اشار صاحب تفسير المنار إلى أن هذا الاشتباه عند بعضهم يعود إلى أن الله تعالى أمرنا بذكره وتسبيحه في آيات، وبذكر اسمه، وتسبيح اسمه في آيات أخرى، فقال ((يا ايها الذين آمنوا أذكروا الله ذكراً كثيراً))(29)، وقال: ((واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً))(30)، وقال في التسبيح: ((سبح الله ما في السموات والأرض))(31)، وقال: ((سبح أسم ربك الأعلى))(32).

ثم توصل إلى أنه ((رأى بعضهم أن يجمع بين هذه الآيات بجعل الاسم عين المسمى وإن ذكر الله، وذكر الله وتسبيحه، وتسبيح اسمه واحد، لأن أسمه عين ذاته... والصواب أن الذكر في اللغة ضد النسيان وهو ذكر القلب، ولذلك قرنه بالتفكير في سورة آل عمران، وهما عبادتان قلبيتان، وقال: ((واذكر ربك إذا نسيت))(33). ويطلق الذكر – أيضا- على النطق باللسان لأنه دليل على ذكر القلب، وعنوان وسبب له))(34).

المطلب الثالث: (لفظ الجلالة)

اشتقاق اسم الله تعالى في اللغة (الاه)، أدخلت الألف واللام تعريفا فقيل (الالاه)، ثم حذفت العرب الهمزة استثقالا لها، فلما تركوا الهمزة حولوا كسرتها في اللازم التي هي لام التعريف، وذهبت الهمزة أصلاً فقالوا (اللاه) فحركوا لام التعريف التي لا تكون إلا ساكنه، ثم التقى لامان متحركتان فادغموا الأولى في الثانية، فقالوا (الله) كما قال الله عزوجل: ((لكنا هو الله ربي))(35)، معناه لكن أنا.(36)

ونقل السيوطي أقوال العلماء في اشتقاق لفظ الجلالة (37)، وليس من شان هذه الدراسة أن تناقش جميع الآراء، ولعل الذي يليق بهذا البحث أن نذكر ما قال الرضي: ((إن هذا اللفظ اختص باشياء لا تجوز في غيره، كأختصاص مسماه تعالىن وخواصه في اللهم، وتالله، والله، وها الله، وذو الله مجروراً بحرف مقدر في السعة، وفالله لتفعلن بقطع الهمزة))(38).

فكما أن الله سبحانه ليس كمثله شيء، فكذلك اختص لفظ الجلالة بأمور لا تجوز في غيره، ومن هذه الأمور التي لم نقف على سرها- بحسب اطلاعنا- سر تفخيم اللام في لفظ الجلالة. نعم فسر

العلماء سبب التفخيم والترقيق في اللام وجعلوا لها مباحث ورسائل فما السر إذا؟ السر لم اختص لام لفظ الجلالة دون سائر الكلمات التي فيها لام بالتفخيم بعد ضم أو فتح فكلمات مثل (اللحم واللغة، واللبن) بأية حركة سبقت فهي مُرققة.

لقد أورد الزمخشري علة التفخيم معتمداً على رأي الزجاج قال: ((ذكر الزجاج أن تفخيمها سنة، وعلى ذلك العرب كلهم، وأطباقهم عليه دليل أنهم ورثوه كابراً عن كابر))(39).ومما اعتمده الزمخشري لا يرتضيه القرطبي إذ ((الغالب على اللام في العربية الترقيق وهو الأصل فيها لكثرته)).(40)

وحاول بعض الدارسين إيجاد مخرج لمثل هذه الاشكال فقال: ((ويبدو لي أن تفخيم اللام في اسم الله تعالى نطق قديم وأنه كان يشمل نطق اسم الله المعظم إذا وقعت قبله كسرة أيضاً ولما كان نطق اللام الغالب في العربية الترقيق، وأن الكسرة يناسبهما الترقيق كان من المقبول صوتياً أن ترقق اللام بعد الكسرة، وتحافظ على التفخيم بعد الفتحة والضمة اللتين يناسبها التفخيم، ومن ثم فإن تعليل علماء التجويد لترقيق هذه اللام يندرج في ميل الأصوات إلى المناسبة والمشاكلة في اللفظ، أما تعليل ظاهرة التفخيم فلا يدخل في مجال الدرس الصوتي، وربما لجأ إليه بعض علماء التجويد حين لم يجدوا تفسيراً صوتياً لهذه الظاهرة))(41). ثم عزز قوله ((أن التفخيم أصل في اللام في أسم الله خاصة، وأن الترقيق فيه بعد الكسر تحول لاحق حصل في حقبة سبقت نزول القرآن الكريم))(42).

وهذا القول به حاجة إلى فضل نظر من حيث:

أ- ما دليل الباحث على أن التفخيم أصل في اللام في اسم الله خاصة.

ب- ما الدليل على التحول من التفخيم إلى الترقيق بعد الكسر؟

ج- كيف حصل التحول زمنياً قبل نزول القرآن؟

المطلب الرابع: (التعلق)

لا بد للباء وما دخلت عليه من تعلق في حكم صناعة النحو ومن المتوقع أن يقع اختلاف في تقدير المتعلق به بين أن يكون أسماً (ابتدائي) أو فعلاً (ابتدئ) بسم الله وفي موقع المقدر، أهو قبل البسملة أم بعدها؟ قال الزمخشري:((فإن قلت بم تعلقت الباء؟ قلت بمحذوف تقديره: بسم الله، أقرأ أو أتلو... ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عزوجل ((في تسع آيات إلى فرعون وقومه))(43) اي ذهب في تسع آيات. وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس (بالرفاء والبنين) وقول الاعرابي (باليمن والبركة) بمعنى أعرست أو نكحت ومنه قوله:

فقلت إلى الطعام فقال منهم   فريق نحسد الإنس الطعاما))(44)

وأنت ترى أنه قدر المحذوف فعلاً متأخراً على عادة البصريين ولكنه فيما أورد من مثال (في تسع آيات...) قدره متقدماً ولم يغب ذلك عنه قال: ((فإن قلت: لم قدرت المحذوف متاخراً؟ قلت لأن الأهم

من الفعل والمتعلق هو المتعلق به لأنهم كانوا يبدؤون باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات، وباسم العُزى، فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عزوجل بالابتداء، وذلك بتقديمه وتأخير الفعل)).(45)

ثم ان الزمخشري رحمه الله لما رأى الفعل قبل المتعلق في قوله تعالى ((أقرأ باسم ربك))أجاب ((لأنها أول سورة نزلت فكان الأمر بالقراءة أهم)).(46)

المطلب الخامس:- (الرحمن الرحيم)

وفي ذلك أمور منها:

1- أصل الاشتقاق: الملاحظ أن جذر (الرحمن) الثلاثي هو (رحم) ولهذا الجذر شأن عجيب فالراء صوت تكراري يوحي بتكرار الفعل والحاء صوت رخو مصمت مهموس منفتح مستفل مرقق، وهذه الصفات لم تجمع إلا في صوت الهاء والسين، وهذه الصفات كلها صفات ضعف، ثم أن الحاء توسط صوتين متخارجين فالراء لا شديد ولا رخوٌ، والميم لا شديد ولا رخو.

وقد ورد هذا الجذر (رحم) في القرآن الكريم (329) تسعاً وعشرين وثلثمائة مرة، بمشتقاته. وورد (الرحمن) (57) سبعاً وخمسين مرة وزيادة الألف والنون دليل على زيادة المعنى. صحيح أن رحم تدل على الرحمة وهي كما قال صاحب الغرائب ((ترك عقوبة من يستحقها أو إرادة الخير لأهله، وأصله الرقة والتعطف، ومنه الرحم لرقتها وانعطافها على ما فيها))(47). وهذه الزيادة دلالة على المبالغة لأن (فعلان) بناء من ابنية المبالغة والمشهور من اقوال المفسرين قولهم (رحمن الدنيا والآخرة) هذه الزيادة معناها الكثرة إذا دخلت على الجذر كما قالوا في غضب غضبان وعطش عطشان. فالله الرحمن، وذلك لأن رحمته وسعت كل شيءن وهو ارحم الراحمين. ومما يشكل في أصل الاشتقاق أي أشتقاق (فعلان) هو صفة مشبهة إذ جرت عادة النحاة أنهم يشتقون الصفة المشبهة باسم الفاعل من الفعل اللازم كبابي (فرح وكرم) ورحم فعل متعد كقولك في الدعاء (رحم الله فلاناً) وربما يكون التحول من الصفة المشبهة إلى المبالغة يسر اشتقاقه من المتعدي. أما (الرحيم) فهو مشتق مما اشتق منه جذر الرحمن فكلاهما من الجذر (رحم) وليس فيه من المبالغة من حيث الكثرة ما في (الرحمن) فرحيم أو قل (فعيل)، إن كانت بمعنى مفعول مثل جريح بمعنى مجروح أو قتيل بمعنى مقتول فهذا مبالغة وإن كان غير ذلك فو ليس بمبالغة وإنما ذكر الرحيم بعد الرحمن مقصوراً على الله عزوجل، والرحيم قد يكون لغيره.(48)

2-منع الصرف: لقد أختلف في منع صرف (رحمن) إذ ليس له مؤنث على فعلي مثل عطشان عطشى ولا على فعلان فعلانه كندمان ندمانة ذلك لأن من شروط النحاة في منع فعلان عدم وجود فعلانة ومن اشترط فيه انتفاء فعلانه لم يصرفه وإذا تساقط الدليلان للتعارض فللصرف وجه وهو أن

الأصل في الاسماء الصرف ولمنع الصرف وجه وهو القياس على اخواته من باب عطشان وغرثان، بقى شيء اتفق عليه الناس هو أن الرحمن مختص به سبحانه والرحيم عام قال القرطبي: ((اكثر العلماء على أن (الرحمن) مختص بالله عزوجل لا يجوز أن يسمى غيره الا تراه قال: ((ادعوا الله أو أدعوا الرحمن))(49) فعادل الاسم الذي لا يشتركه فيه غيره وقال: ((وأسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون))(50) فأَخبَرأن (الرحمن) هو المستحق للعبادة جل وعز، وقد تجاسر مسيلمة الكذاب – لعنه الله– فتسمى برحمن اليمامة ولم يتسم به حتى قرع مسامعه نعت الكذاب فالزمه الله تعالى نعت الكذاب، كذلك وان كان كل كافر كاذباً، فقد صار هذا الوصف لمسيلمة علما يعرف به...وقد قيل في اسمه الرحمن: (أنه اسم الله الأعظم)(51).

هذا ما سمح به الوسع. والكلام في البسملة اطول مما قدمت لك ولكن هذا مفاده سردناه على سبيل الاختصار والترتيب مشيرين إلى أهم مسائل البسملة ثم رأينا من باب اتمام الفائدة أن نعزز البحث بملحق ببعض المصادر والمراجع المطبوعة والمخطوطة عن البسملة وعلى الله قصد السبيل.

ملحق ببعض الدراسات المطبوعة والمخطوطة عن البسملة

المطبوعة:

- إيضاح إيداع حكمة الحكيم في بيان بسم الله الرحمن الرحيم، محمد عبدالله عليش، مصر المطبعة الوجبة 1295هـ.
- الرحمة المؤهلة في شأن حديث البسملة، محمد عبد الحي الفاسي، بولاق 1323هـ.
- البسملة بين أهل العبارة وأهل الاشارة، ابراهيم بسيوني، القاهرة 1932م.
- الرسالة الكبرى عن البسملة، محمد بن علي الصبان، مصر 1297هـ.
- فتح الجواد فيما يتعلق بسم الله الرحمن الرحيم، حسن ابراهيم السقا المطبعة البهية 1306هـ.
- الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم، عبد الكريم الجيلاني، حيدر اباد، 1340هـ.
- معنى البسملة، مقال في مجلة الأزهر، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثالث 1949، الطيب حسن النجار.

ب–المخطوطة:

- ابداع حكمة الحكيم في بيان بسم الله الرحمن الرحيم، محمد الخادمي المكتبة التيمورية ضمن مجموعة رقم 297.
- أحكام البسملة، الفخر الرازي– المكتبة التيمورية رقم 125.
- الأقوال المجملة والمفصلة في البسملة، أحمد عبد الحق السنباطي، المكتبة التيمورية رقم 296.

هوامش البحث

---

(1) ينظر الملحق ببعض الدراسات المطبوعة والمكتوبة عن البسملة في آخر البحث.

(2) الواقعة 74، 96، والحاقة 52.معاني القرآن : 2/1.

(3) معاني القرآن 2/1.

(4) معاني القرآن 2/1.

(5) نفسه.

(6) سر صناعة الاعراب 1/ 78.

(7) معاني القرآن 2/ 134– 135.

(8) الاسراء 110.

(9) النمل 30.

(10) معاني النحو 1/ 93.

(12) معاني النحو 93/1. والنمل :30.

(13) الشعراء: 176.

(14) الحجر :78.

(15) الكشاف : 5/1.

(16) الكهف : 32.

(17) معاني القرآن :2/1.

(18) تفسير الرازي 1/ 113.

(19) النمل 30.

(20) الجامع لأحكام القرآن 1/ 93.

(21) الكشاف 1/1.

(22) تفسير المنار 1/ 39.

(23) الجامع لأحكام القرآن 1/ 97.

(24) غرائب القرآن 1/ 77.

(25) الانعام 118.

(26) هود 41.

(27) الجامع لاحكام القرآن 1/ 98، والمقصود بالتخمير: التغطية، وأوك: من الوكاء وهو الخيط الذي تشد به الصرة والكيس وغيرهما.

(28) الانصاف، المسألة الأولى.

(29) الاحزاب، 41.

(30) المزمل،8.

(31) الحديد:1.

(32) الأعلى: 1.

(33) الكهف 24.

(34) تفسير المنار 1/ 42.

(35) الكهف 38.

(36) اللسان 13/ 467 (اله).

(37) الاقتراح 78– 79.

(38) شرح الكافية 1/ 145.

(39) الكشاف 68.

(40) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد 486.

(41) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد 487– 488.

(42) نفسه 488.

(43) النمل 12.

(44) الكشاف 1/ 2.

(45) نفسه 3/1.

(46) نفسه.

(47) غرائب القرآن 1/ 75.

(48) اللسان 12/ 230 (رحم).

(49) الاسراء، 110.

(50) الزخرف، 45.

(51) الجامع لأحكام القرآن 1/ 106.

المصادر والمراجع

- الاقتراح في علم أصول النحو، السيوطي، حيدر أياد، 1310هـ.
- الأنصاف في مسائل الخلاف أبو بركات الانباري، دار الفكر بيروت.
- تفسير الفخر الرازي، الرازي، دار الفكر، الطبعة الثالثة.
- تفسير المنار، رشيد رضا، الطبعة الرابعة 1373– 1405هـ – 1985م.
- الجامع لأحكام القرآن / القرطبي، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي 1387هـ –1967م.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد / غانم قدوري، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الطبعة الأولى 1406هـ – 1986م. العراق.
- رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخة، د.غانم قدوري، الطبعة الأولى 1402هـ – 1982م.
- سر صناعة الأعراب، ابن جني تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مصر، 1374هـ – 1954.
- شرح الكافية، رضي الدين الاسترابادي.

- غرائب القرآن، ورغائب الفرقان، النيسابوري، تحقيق ومراجعة ابراهيم عطوة عوض، مصر 1388هـ – 1962م.
- الكشاف، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة 1407هـ – 1987م.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.
- معاني القرآن، الفراء، تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، القاهرة.
- معاني النحو، الدكتور فاضل السامرائي، وزارة التعليم العالي، جامعة بغداد 1991م.
-